مدرسة الإسكندرية

المفهوم الكتابي والنسكي للقلب

نيافة أنبا هرمينا

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الثالث - ٢٠٠٩

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٣

المفهوم الكتابي والنسكي للقلب

إعداد نيافة الأنبا هرمينا

المفهوم الكتابي والنسكي للقلب

إعداد نيافة الأنبا هرمينا

تمهيد:

من السهل على عَالِم التشريح أو عَالِم وظائف الأعضاء أن يُحدِّد الأعضاء المختلفة التي للجسم البشري، وأن يدرس البناء التشريحي لكل عضو ووظائفه المتعددة، ولكن في المقابل يواجه العَالِم النفسي مهمة أصعب؛ فهو عليه أن يُحلِّل ويُصنِّف الأحاسيس والانفعالات المختلفة، ليُحدِّد، على قدر إمكانه، ما منها يصدر عن القسم المادي للإنسان؛ أي الجسد، وما يصدر عن القسم اللامادي منه؛ أي النفس والروح، ويقارن التكوين العقلي مع التأثيرات التي تؤثِّر فيه.

فالإنسان، جوهريًّا، هو كائن متعدد الوجوه، فهو مادي (الجسد) وفي نفس الوقت به قسم لامادي (النفس والروح). ولكنه على الرغم من ذلك هو شخص واحد قد خلقه الله على صورته ومثاله (تك١: ٢٦؛ ٥: ١)، وهذا جعله مخلوقًا فريدًا. ومن الواضح أن جسد الإنسان (المادي) له وظائف عِدّة. فالبصر مختلف عن السمع، ولكن الجهاز العصبي، مع كونه مختلف في التكوين، ومنفصل عن العين والأذن مكانيًا، إلاّ أنه متصل بكليهما وظيفيًّا؛ وهذا ينطبق على بقية الأعضاء ووظائفها.

وربما من الأفضل أيضًا أن ننظر إلى القسم اللامادي في الإنسان بنفس الطريقة. فالنفس، الروح، العقل، القلب، الضمير والإرادة كلها وجوه للطبيعة اللامادية للإنسان، ولكننا نواجه صعوبة كبيرة في أن نُميِّز مكان وعمل كلٍ منها، ولكننا لا نستطيع أن نفصل بينهم وظيفيًّا. لقد استطاع العلماء التعرُّف على كل مكونات المخ تشريحيًّا ووظيفيًّا، وهذا أدى إلى علاج

الكثير من أمراضه، ولكنهم في بحثهم عن العقل، الذي هو الوظيفة العليا للمخ، اكتشفوا أنهم مازالوا يقفون أمام لغز كبير. فمثلاً؛ الوعي، أين مركزه؟ وماذا يعمل على وجه التحديد؟ الانفعالات، أين مركزها؟ وكيف تتكون؟ لماذا نُحِب ولماذا نكره؟ وهذا يجعلنا نتساءل ما الوظيفة الحقيقية للعقل؟ هل هي متغيرات كيميائية، أم نشاط كهربائي، أم أن هناك قوى أخرى تقف خلفها لها علاقة بالنفس والروح؟

لقد كان العقل، محل خلاف على مر العصور. فقد حدّد العلماء مكانه في المخ، ولكنه في القديم لم يكن كذلك. فقد كان القلب يحتل المكانة العليا في الإنسان. فالقلب، تشريحيًّا، هو ذلك العضو القابع في التجويف الصدري بين الرئتين، بحجم قبضة اليد. ويعمل كمضخة للدم، مُستقبلاً إياه من الأوردة حاملاً ثاني أكسيد الكربون، ويضخه مرة أخرى لكل أعضاء الجسم عن طريق الشرايين، حاملاً الأكسُجين. وهو في هذا يستطيع أن ينبض تلقائيًّا حتى ولو تمزقت الأعصاب الأخرى. والقلب ينبض فى المتوسط ٧٥ نبضة في الدقيقة؛ أي تقريبًا ٤٠ مليون نبضة في السنة. عمل القلب هذا يستهلك طاقةً في كل ساعة كافية لأن ترفع إنسانًا، يزن تقريبًا ٧٠ كجم، لسطح مبنى يتكون من ثلاث طوابق. طاقة كافية في ١٢ ساعة لأن ترفع عربة، تزن ٦٥ طنًّا، إلى مسافة قدم فوق سطح الأرض. أو طاقة خلال ٧٠ عام تكفي لرفع أكبر سفينة حربية عائمة فوق سطح المياه[١].

ونتيجة لوضعه متوسطًا الجسم، كان كناية لمركز الإنسان[٢]. حتى إن قدماء المصريين كانوا يقومون بتحنيط القلب ووضعه في وعاء بجانب الجسد، في حين أنهم كانوا يقومون بالتخلُّص من المخ عن طريق سحبه من فتحتيّ الأنف. كما كانوا يُصوِّرون لحظات المحاكمة للإنسان المتوفي أمام الآلهة، وقد وُضِع قلبه على الميزان. وكان القلب أيضًا عند الساميين يشير إلى مركز

[1] Tan, Paul Lee: *Encyclopedia of 7700 Illustrations: A Treasury of Illustrations, Anecdotes, Facts and Quotations for Pastors, Teachers and Christian Workers*. Garland TX: Bible Communications, 1996, article 2165.

[2] Elwell, Walter A.; Comfort, Philip Wesley: *Tyndale Bible Dictionary*. Wheaton, Ill.: Tyndale House Publishers, 2001 (Tyndale Reference Library), p. 579.

الفهم[٣]. وفي الثقافة الهللينية، كان أغلب الفلاسفة في ذلك الوقت ينظرون إليه على أنه مركز الحياة الخُلُقية والفكرية. وفي المصطلحات الفلسفية نجد اتجاهًا ضعيفًا عند أفلاطون لأن ينسب إلى القلب وظائف النفس[٤]، مع احتفاظه بالمفهوم الوظيفي له كعضو في الجسد. ولأن القلب هو أصلاً مركز مجرى الدم، فمن ثم كان يراه أرسطو مركزًا للحياة عامةً، حاويًا الانفعالات على أساس وظيفته كعضو للإحساس[٥]. والقلب في الفلسفة الرواقية[٦] هو، إلى حدٍّ ما، العضو المركزي للحياة الفكرية، مركز العقل، الذي ينبع منه المشاعر، الإرادة والتفكير[٧].

المعنى اللُغوي لكلمة «القلب» :

القلب، لُغويًّا، يعني قلب كل شيء، أي وسطه ومركزه. والكلمة في العبرية هي לֵב (لِ ڤ) أو לֵבָב (لِ ڤَ ڤ). ومنها الكلمة العربية «لُبّ»، والتي تعني أغنى شيء في مادة، أو القسم الداخلي أو المركزي للشيء، أو جوهر الشيء، مثلما نقول: «لبّ الكتاب، لبّ المشكلة، لبّ الأرض». والكلمة مرادف للقلب أو العقل[٨].

ويذكر العهد القديم كلمة «القلب» ما لا يقل عن ٨٤٠ مرة مستخدمًا الكلمتين العبريتين. فجاءت كلمة לֵב (لِ ڤ) ٥٩٢ مرة تقريبًا، وكلمة לֵבָב (لِ ڤَ ڤ) ٢٥٢ مرة تقريبًا[٩]. منها ٢٦ مرة في الإشارة إلى قلب الله وما يُمثِّله من حب ومشاعر رقيقة. وقد تُرجمَت الكلمتين في الترجمة السبعينية إلى الكلمة اليونانية καρδία (كارذيا)،التي جاءت منها الكلمة الإنجليزية cardiac

---

[3] J.B. Bayer: *Verbum Domini*, 40 (1962), p.27.

[4] cf. *Timaeus Locreus*, (Plato, of Athens); p. 100a.

[5] cf. *De Sensu et Sensili*, 2, p. 439a, 1f.

[٦] تأسَّست الفلسفة الرواقية على يد زينون حوالي عام ٣٠٠ ق.م. في أثينا، وقد نادى بأن الرجل الحكيم يجب أن يتحرَّر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح أو الترح وأن يخضع من غير تذمُّر لحكم الضرورة القاهرة. وقد أخذ مذهبه الفلسفي اسم «الرواقية» نسبةً إلى الأماكن التي كان يلقي فيها تعليمه، حيث كان يُعلِّم في أروقة البنايات العامة.

[7] Kittel, Gerhard (Hrsg.); Bromiley, Geoffrey William (Hrsg.); Friedrich, Gerhard (Hrsg.): *Theological Dictionary of the New Testament*. Electronic ed. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1964-c1976, Vol. 3, p. 608-609.

[٨] المُنجِد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١، ص ١٢٦٧.

[9] James Strong, LL.D., S.T.D., *The New Strong`s Expanded Dictionary of Bible words (OT)*. Thomas Nelson Publishers, Nashville, 2001, p.569, 570.

وأيضًا كلمة cardiology ، أي «العِلْم المتعلق بالقلب». وقد اُستخدِمَت نفس الكلمة اليونانية عن طريق كُتّاب العهد الجديد، حيث جاءت كلمة καρδία تقريبًا ١٦٠ مرة[١٠].

وسواء اُستخدِمَت كلمة «القلب» بصورتها العبرية، في العهد القديم، أو في صورتها اليونانية، في العهد الجديد، فهي تُستخدَم لتأدية العديد من المفاهيم الطبيعية والشخصية كالعواطف والذكاء والإرادة والعلاقة مع الله. ويمكن ترجمتها في العربية إلى عدة كلمات أخرى مترادفة، مثل: بال، نية، قصد، مركز، محور، الداخل، الباطن. كما اُستخدِمَت أيضًا الكلمتين العبريتين كظرف أو حال، في بعض المواضع في العهد القديم، بعبارة «أتكلم لقلب .. » יְדַבֵּר עַל־לֵב (ي دَ بِ ر / عَ ل لِ ف). التي تُرجمَت إلى عبارة: «لاطف» (تك٣٤: ٣؛ هو٢: ١٤)، أو «طيَّب قلب» (را٢١: ١٣؛ ٢أي٣٠: ٢٢؛ إش٤٠: ٢)[١١].

بجانب الكلمتين العبريتين، לֵב (لِ ف) و לֵבָב (لِ فَ ف)، هناك بعض الكلمات العبرية المرادفة لهما والتي يمكن أن تأتي أيضًا بمعنى «القلب» في سياق الكلام التي جاءت فيه، والتي تُرجمَت في الترجمة السبعينية بالكلمة اليونانية καρδία (كارديا). منها كلمة קֶרֶב (قِ رِ ف)، والتي تعني «وسط» (مز٥٥: ١٥)، «داخل» (مز٩٤: ١٩)، «جوف» (مز٥: ٩؛ أم٢٦: ٢٤)، «قلب» (إر٩: ٨). أيضًا كلمة מֵעִים (م عِ ي م)، والتي تعني «أحشاء» (انظر مز٤٠: ٨؛ نش٥: ٤؛ مرا ٢: ١١ السبعينية). أيضًا كلمة רוּחַ (رُ وّ ح)، والتي تعني «روح»، تُرجمَت إلى كلمة «القلب» καρδία (كارديا) في (حز١٣: ٣ السبعينية). هناك أيضًا كلمة בֶּטֶן (بِ طِ ن)، والتي تعني «جوف» (انظر أم٢٢: ١٨ السبعينية)[١٢].

وعلى الرغم من أن كلمة καρδία (كارديا) هي الكلمة المكافئة للكلمتين العبريتين לֵב (لِ ف) و לֵבָב (لِ فَ ف)، إلا أنهما في بعض المواضع القليلة جدًّا قد تُرجِمَتا في السبعينية إلى بعض الكلمات الأخرى، مثل:

---

[10] James Strong, LL.D., S.T.D., *The New Strong`s Expanded Dictionary of Bible words (NT).* Thomas Nelson Publishers, Nashville, 2001, p.1164.

[11] James Strong, LL.D., S.T.D., op. cit., p. 570.

[12] Kittel, Gerhard (Hrsg.); Bromiley, Geoffrey William (Hrsg.); Friedrich, Gerhard (Hrsg.): op. cit., p. 609.

διάνοια (ذيانيا)، بمعنى «الذهن أو الفكر»؛ و ψυχή (بسيخي)، بمعنى «النفس». ونادرًا ما تُرجِمَتا إلى: φρενός (فرينوس) أي «عقل»، νοῦς (نوس) أي «عقل أو ذهن» و στῆθος (ستيثوس) أي «صدر»[١٣].

أما في أسفار العهد الجديد، فهناك بعض الكلمات بجانب كلمة καρδία (كارذيا) قد تُرجِمَت إلى كلمة «قلب» في بعض المواضع القليلة، في بعض الترجمات، مثل: ψυχή (بسيشي) أي «نفس» (انظر أف٦: ٦)؛ κοιλία (كيليا) أي «بطن أو جوف» (انظر يو٧: ٣٨)؛ σπλάγχνον (سبلانخنون) أي «أحشاء» (انظر: فليمون٢٠، ٧؛ ١يو٣: ١٧)؛ καρδιογνωστής (كارذيوجنوستيس) أي «عارف القلوب» (أع١: ٢٤؛ ١٥: ٨)؛ σκληροκαρδία (سكليروكارذيا) أي «قساوة قلب» (مت١٩: ٨؛ مر١٠: ٥)[١٤].

المفهوم الكتابي والنسكي للقلب:

جاءت كلمة «القلب» في الكتاب المقدس بعهديه لتشير إلى معانٍ عديدة شديدة التنوع، فهو مركزٌ للكيان البشري عمومًا، هكذا اعتبره الآباء. فمفهوم القلب الكتابي يُطابق في وصفه وعمله المخ عند الأطباء، بل وربما أشمل من ذلك. فالقلب في الأدب النسكي، وفي الكتاب المقدس، هو القلب اللحمي، مضخة الدم إلى كل أرجاء الجسم، إلا أنه مركز الوجود اللحمي والروحي بآنٍ[١٥]. هو القاعدة التي تصدر عنها كل مفاعيل الحياة الروحية والجسدية، ليس الصالح منها فقط بل والشرير أيضًا. لذلك فالقلب، بحسب المفهوم الكتابي والنسكي، هو المركز العضوي (organo-biological) والشهواني أو النفسي (paraphysical) والروحي (metaphysical) في الإنسان[١٦].

---

[13] Idem.

[14] James Strong, LL.D., S.T.D., op. cit., p.1462; 1375; 1164; 1368.

[15] Hausherr: *Hesychasm; a study of spirituality*, p.85.

[١٦] اليقظة والصلاة، نقله عن اليونانية الأب منيف حمص، الطبعة الأولى ١٩٩١، ص٢٥.

أولاً ـ مفهوم القلب العضوي (Physical Heart) :

تشير كلمة «القلب» في الكتاب المقدس في بعض المواضع إلى **مركز الشيء أو داخله أو عمقه أو باطنه**، مثل: «قلب السماء» [١٧] (تث٤: ١١)، «قلب البحر» (خر١٥: ٨؛ أم٢٣: ٣٤؛ حز٢٧: ٤)، «قلب البطمة (شجرة)» (٢صم١٨: ١٤)، «قلب الأرض» (مت١٢: ٤٠).

كما يشير القلب في عدة مواضع أخرى إلى **القلب العضوي** أو **الصدر** الذي يحتويه، فكان القلب كعضو في الجسم له أهمية أكثر من الرأس، لأنه مركز الحياة، فبسبب الاعتقاد بأن الحياة في الدم أو هي الدم نفسه (انظر لا١٧: ١١، ١٤)، كان القلب النابض دليلاً على الحياة، إذ هو مركز دورة الدم. يظهر هذا بوضوح في قصة موت نابال الكرملي، حيث يقول عنه الكتاب: «مات قلبه داخله وصار كحجر»، الذي يمكن أن يكون كناية عن الذبحة الصدرية، التي ربما هي التي أدت إلى موته بعد عشرة أيام (١صم٢٥: ٣٧ـ٣٩)[١٨]. هناك أيضًا عدة مواضع في الكتاب المقدس بعهديه تشير إلى القلب العضوي (انظر خر٢٨: ٢٩؛ ٢صم١٨: ١٤؛ ٢مل٩: ٢٤؛ مز٣٨: ١٠؛ هو١٣: ٨)، أو تشير إلى **منطقة الصدر**، كما في كلمة «صدورهن» (نا٢: ٧)، فهي نفس كلمة «قلوبهن» في العبرية לִבְבֵהֶן (لِ ڤْ ڤِ هِ ن). كذلك القلب، بكونه العضو المركزي للحياة، كان يتأثر بالطعام والشراب (انظر قض١٩: ٥؛ مز١٠٤: ١٥).

كذلك كان يمكن أن يحل القلب محل الأحشاء في الإنسان لأهميته للحياة، فنجد بولس وبرنابا يقولان لأهل لسترة: «وهو (الله) يفعل خيرًا يعطينا من السماء أمطارًا وأزمنة مثمرة **ويملأ قلوبنا طعامًا** وسرورًا» (أع١٤: ١٧)، وكما يقول يعقوب الرسول مخاطبًا الأغنياء: «قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم **وربيتم قلوبكم** كما في يوم الذبح» (يع٥: ٥).

---

[١٧] الترجمة الحالية في الطبعة البيروتية هي «كبد السماء»، ولكن الترجمة الحرفية هي «قلب السماء»، حيث جاءت الكلمة العبرية לֵב הַשָּׁמַיִם (لِڤ هاشّمَيِم).

[18] Elwell, Walter A.; Comfort, Philip Wesley: op. cit., p. 579.

ويشير الكتاب المقدس أيضًا، في بعض المواضع، إلى **قلب الحيوان**، فبالرغم من أنه في الغالبية العُظمَى من الحالات تشير الكلمات العبرية واليونانية إلى قلب الإنسان، إلا أنه هناك أربعة مواضع فقط تشير إلى قلب الحيوان، هي: «قلب الأسد» (٢صم١٧: ١٠)؛ «قلبه (لوياثان) صلب كالحجر» (أي٤١: ٢٤)؛ «ليُعطَ قلب حيوان» (دا٤: ١٦؛ ٥: ٢١)؛ «قلب الحوت» (طوبيا٦: ٥). في هذه المواضع لا تشير كلمة «قلب» إلى القلب العضوي المادي، بل بالحري إلى ما يشتهر به الحيوان من صفات، وهذا واضح جدًّا في عبارة «قلب الأسد»، فهي كناية عن الشجاعة. كذلك قول الرب لأيوب عن لوياثان (أي٤١: ٢٤)، فالإشارة ليست إلى القلب ذاته بل إلى الجلد الحرشفي السميك الذي يغطي منطقة الصدر. ولكن استثناءًا لذلك، الإشارة إلى القلب العضوي المادي للحوت في سفر طوبيا (طوبيا٦: ٥).

ثانيًا ـ مفهوم القلب النفسي (Psychological Heart) :

يشير القلب، في بعض المواضع من الكتاب المقدس، إلى **الإنسان نفسه أو شخصيته أو نفسه الداخلية**، أو بتعبير بطرس الرسول: «إنسان القلب الخفي» (١بط٣: ٤). يظهر هذا في قول الله لصموئيل النبي: «لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب» (١صم١٦: ٧)، فالقلب هو نفس الإنسان الحقيقية، المميّزة عن هيئته الخارجية، أو مركزه العام أو حضوره بالجسد (انظر خر٩: ١٤؛ ٢كو٥: ١٢؛ ١تس٢: ١٧). فلكل إنسان قلبه الشخصي، الذي له طبعه الخاص، صفاته الخاصة وشخصيته الخاصة. أما قول الكتاب: «قال في قلبه»، فهو إشارة إلى حوار الإنسان مع نفسه (انظر تك١٧: ١٧؛ جا١: ١٦؛ مت٢٤: ٤٨)[19].

نجد ذلك المفهوم مُعبّر عنه في رسائل القديس الأنبا أنطونيوس، فكثيرًا ما يستخدم في رسائله عبارة: [الجوهر العقلي أو الجوهر الروحي]، وهي تعني العقل أو القلب أو الروح. فالإنسان مخلوق على صورة الله، وهذا هو كيانه الروحي أو العقلي أو القلبي أو كيانه الحقيقي أو الحياة الداخلية أو نفسه

[19] Idem.

الحقيقية. ولذلك يتحدث القديس أنطونيوس مرات كثيرة عن أهمية معرفة النفس، وارتباطها بمعرفة الله[٢٠].

كذلك القلب، بحسب المفهوم الكتابي والنسكي، هو **مركز المشاعر الإنسانية والأحاسيس الوجدانية**. فهو **مركز الحزن** الذي يُعبِّر عنه الكتاب بـ «وجع القلب» (رو٩: ٢)، «كآبة القلب» (نح٢: ٢؛ ٢كو٢: ٤)، «المنكسري القلوب» (لو٤:١٨)، «مرارة القلب» (أم١٤: ١٠)، «أنين القلب» (إر٤: ١٩). كما أنه **مركز الفرح**، كقول السيد المسيح لتلاميذه: «ولكني سأراكم أيضًا فتفرح قلوبكم» (يو١٦: ٢٢)، (انظر أيضًا إش٣٠: ٢٩). القلب أيضًا يشعر **باليأس** (جا٢: ٢٠)، **بالتعزية** (كو٢: ٢)، **بالحب** (تث١٣: ٣؛ مر١٢: ٣٠)، **بالبغضة** (لا١٩: ١٧)، **بالغيرة والتحزُّب** (يع٣: ١٤)، **بالحسد** (أم٢٣: ١٧)، **بالثقة** (مز١١٢: ٧)، **بالخوف**، الذي يُعبِّر عنه الكتاب، في أحد المواضع، بتعبير: «طارت قلوبهم» (تك٤٢: ٢٨)، **بالجبن** (عد٣٢: ٩)، **بالغضب**، الذي يُعبِّر عنه الكتاب، أحيانًا، بتعبير: «يحمى قلبه» (تث١٩: ٦) أو «حنقوا بقلوبهم» (أع٧: ٥٤)، **بالبهجة والمرح**، الذي يُعبِّر عنه الكتاب بتعبير: «طاب قلبه» (انظر قض١٦: ٢٥؛ ١صم٢٥: ٣٦)، **بالرأفة**، حيث يُعبِّر بولس الرسول عنها بقوله: «قلبنا مُتّسِع» (٢كو٦: ١١)، **بالتعاطف**، الذي يُعبِّر عنه الكتاب بتعبير: «انقلب عليّ قلبي» (هو٨:١١)، **بالتسامح** (مت١٨: ٣٥)، **بالسلام** (كو٣: ١٥)، **بالقلق**، الذي يُعبِّر عنه الكتاب بتعبير: «اضطراب القلب» (١صم٤: ١٣؛ يو١٤: ١)، أو «يضع قلبه على» (١صم٩: ٢٠)، **بالشجاعة**، حيث يُعبِّر عنها الكتاب بتعبير: «أشداء القلب» (مز٧٦:٥)، أو «ينهض قلبه» (دا١١: ٢٥).

هكذا اتفق الآباء مع المفهوم الكتابي على أن مركز المشاعر هو القلب، وهذا نجده في كثير من أقوالهم. فعلى سبيل المثال يقول مار يوحنا الدرجي عن حزن وتوجع القلب:

[ليكن أولادك المحبوبون **تنهدات قلبك**] (الدرجي٣: ٢٠)[٢١].

---

[٢٠] رسائل القديس أنطونيوس، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، يناير ٢٠٠٤، ص٢٥.

[رأيت أناسًا قد بلغوا أعلى قمة النوح؛ إذ رأيتهم فعلاً يسكبون دمًا من أفواههم لأن **قلوبهم كانت متوجعة** مجروحة، فتذكرت القائل: «**قُطعت كالعشب ويبس قلبي**» (انظر مز١٠٢: ٤)] (الدرجي ٧: ٧٢)[٢٢].

وعن غضب القلب يقول:

[حدة **الخُلُق هي توقُّد القلب** في غير أوان وغير مناسبة] (الدرجي ٨: ٦)[٢٣].

أما خوف القلب فيقول عنه:

[الخوف هو ... **حس مرتاع للقلب**، مرتجف مغموم من أجل مصائب غامضة] (الدرجي ٢٠: ٣)[٢٤].

القلب أيضًا، بالمفهوم الكتابي، هو **مركز الإرادة والقصد والنية واتخاذ القرار**. يُعبِّر بولس الرسول عن **القصد والنية** بتعبير: «أراء القلوب» (١كو٤: ٥)، «نيّات القلب» (عب٤: ١٢)، أو ببساطة يقول: «كل واحد كما ينوي بقلبه» (٢كو٩: ٧)، أو مجرد التعبير عن ذلك في مواضع أخرى بتعبير: «اعمل ما بقلبك» (١صم١٤: ٧). كما يُعبِّر الكتاب عن التصميم على عمل شيء ما بتعبير: «عزم القلب» (أع١١: ٢٣). كما أن القلب هو مركز **الإرادة**، وعنه تصدر التصرفات الصالحة أو الشريرة. فالإرادة تجاه ما هو صالح يُعبِّر عنها الكتاب بتعبير: «أطعتم من القلب» (رو٦: ١٧)، أو كما يقول بولس الرسول في أحد رسائله: «وأمّا مَن أقام راسخًا في قلبه ... وقد عزم على هذا في قلبه» (١كو٧: ٣٧)، أو بتعبير: «سموح القلب» (خر٣٥: ٢٢) أو «من أنهضه قلبه» (خر٣٦: ٢). أما عن الإرادة تجاه الشر، فمثلاً يقول بطرس الرسول لحنانيا: «فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر» (أع٥: ٤)، ويُعبِّر الكتاب أيضًا عن تلك الإرادة الفاسدة، كناية عن العناد، بتعبير «غلاظة القلب» (انظر خر٧: ١٤؛

---

[٢١] السلم إلى الله للأب يوحنا السينائي، مراجعة المتنيح الأنبا مكاري، إصدار لجنة التحرير والنشر بإيبارشية سيناء، الطبعة الأولى، يناير ١٩٩٨، ص٥٧.

[٢٢] المرجع السابق، ص١٥١.

[٢٣] المرجع السابق، ص١٥٦.

[٢٤] المرجع السابق، ص٢٣٩.

يو١٢: ٤٠؛ أع٢٨: ٢٧). كذلك يتفق المفهوم النسكي مع الكتابي في أن القلب هو مركز الإرادة، ويظهر ذلك في قول مار يوحنا الدرجي:

[**كن كملك في قلبك**، مستويًا على عرش الاتضاع السامي، وقُل للضحك: «اذهب»، فيذهب، وللبكاء الحلو: «ائتِ»، فيأتي، وإلى الجسد عبدنا وطاغينا: «افعل هذا»، فيفعل] (الدرجي ٧: ٤٣)[٢٥].

القلب في الكتاب المقدس هو أيضًا **مركز الطاقات العقلية والنشاط الذهني**، فمركز الفكر والذاكرة والتخيُّل والحكمة والمعرفة هو في القلب. ففي الواقع، لم تكن الرأس أبدًا، وما تحويه من عقل، تُعتبَر هي مركز الفهم والحكمة في الكتاب المقدس، بل القلب، فهو يقوم بعمل العقل في الإنسان. كذلك تطابق المفهوم النسكي للقلب مع مفهومه الكتابي، واعتبر الآباء أن الذهن هو جوهر النفس، أي القلب. وكثيرًا ما استخدم الكتاب المقدس كلمة «القلب» بالتبادل، في بعض الأحيان، مع كلمة «الذهن» νοῦς (نوس). مثالاً على ذلك؛ قول بولس الرسول إلى أهل كورنثوس: «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي **أشرق في قلوبنا** (καρδία) **لإنارة معرفة مجد الله** في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤: ٦). في حين يقول لأهل أفسس: «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في **معرفته**. **مستنيرة عيون أذهانكم** (νοῦς)» (أف١: ١٧-١٨). كذلك السيد المسيح بعد قيامته من الأموات ظهر للرسل: «حينئذٍ **فتح ذهنهم** (νοῦς) **ليفهموا** الكتب» (لو٢٤: ٤٥). ويتضح من هذه الآيات أن الذهن والقلب، في المفهوم الكتابي، هما واحد. وهذا ينسجم مع قول بولس الرسول: «تغيروا عن شكلكم بتجديد **أذهانكم** (νοῦς)» (رو١٢: ٢). فغاية الحياة الروحية هي توحيد قوى الذهن في القلب، إذ أن جوهر الذهن هو في القلب. لهذا لا يميز الآباء عمليًّا بين الذهن (νοῦς) والقلب (καρδία)[٢٦].

---

[٢٥] المرجع السابق، ص١٤٤.

[٢٦] اليقظة والصلاة، مرجع مذكور، ص٣٨-٣٩.

إذن فالقلب، بحسب المفهوم الكتابي، هو **مركز الفهم**، نجد مثالاً على ذلك في قول موسى النبي لشعب إسرائيل: «ولكن لم يعطكم الرب قلبًا لتفهموا...» (تث٢٩: ٤)، وأيضًا طلب سليمان الملك من الرب أن يعطيه «قلبًا فهيمًا» (١مل٣: ٩)، أما أن يكون القلب غير فهيم، فيُعبِّر عن ذلك بولس الرسول بقوله: «... بل حَمَقوا في أفكارهم **وأظلم قلبهم الغبي**» (رو١: ٢١).

كذلك القلب هو **مركز الحكمة**، فتعبير: «حكيم القلب» كثيرًا ما نجده عبر الكتاب (انظر مثلاً خر٣٦: ١)، وهذا ما يقوله سليمان الحكيم في سفر الجامعة: «وجهت قلبي لمعرفة الحكمة» (جا١: ١٧). كما أنه **مركز الذاكرة**، وأشهر مثال عن ذلك في الكتاب المقدس، هو قول الوحي عن السيدة العذراء: «كانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها» (لو٢: ٥١)، كما يُعبِّر إرميا النبي عن التذكر، بقوله: «أُردِّد هذا في قلبي» (مرا٣: ٢١). ويحفظ بولس الرسول في ذاكرته ذِكر أبنائه في الإيمان، فيقول: «وأما نحن أيها الأخوة فإذ قد فقدناكم زمان ساعة بالوجه لا بالقلب» (١تس٢: ١٧).

كذلك القلب في الكتاب المقدس هو **مركز الأفكار**، صالحة كانت أم شريرة، فالله قد خلق فينا قلبًا يُفكِّر (سي١٧: ٥). فتعبير «يقول في قلبه» أو «يفكِّر في قلبه»، كناية عن التفكير في أمرٍ ما، وهو شائع عبر الكتاب المقدس (انظر مثلاً: تك٢٧: ٤١؛ تث٨: ١٧؛ مز٤: ٤؛ مت٩: ٤؛ مر٢: ٦). كذلك يؤكِّد بولس الرسول على قوة عمل كلمة الله في الإنسان ككل، وعلى أفكاره بقوله: «لأن كلمة الله حية وفعّالة ... ومميزة أفكار القلب» (عب٤: ١٢). كما يُحدِّد السيد المسيح مصدر الأفكار الشريرة قائلاً: «لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة» (مر٧: ٢١). يؤكِّد على ذلك القديس مقاريوس الكبير قائلاً:

[لأن أفكارنا ليست خارجية بالنسبة لنا بل هي **تأتي وتنبع من القلب في الداخل**] (عظة ١٥: ١٣)[٢٧].

[٢٧] عظات القديس مقاريوس الكبير، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثالثة، سبتمبر ٢٠٠٠، ص١٣٧.

والقلب أيضًا هو **مركز التخيُّل**، فقول بولس الرسول: «ما لم تر عين ولم تسمع أذن **ولم يخطر على بال** (قلب)[٢٨] إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩)، هو إشارة إلى عجز ذهن الإنسان على تخيُّل أو تصوُّر ما أعدّه الله لنا. أما عن التصوُّر المريض للإنسان، فيقول عنه الكتاب: «لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته» (تك٨: ٢١)، ويصف المُرنِّم الأشرار بأنهم «جاوزوا تصورات القلب» (مز٧٣: ٧). هكذا يتفق المفهوم النسكي مع المفهوم الكتابي، حيث يتكلم الآباء كثيرًا عن أفكار القلب λογισμός (لوجيسموس)، فهي ليست بمعنى الأفكار العادية (Ideas) بل هي صور وخيالات[٢٩]. يؤكِّد على ذلك مار يوحنا الدرجي، موضِّحًا أن القلب هو مركز التخيُّل في الإنسان، فيقول:

[قلوب النهمين لا تحلم إلا بالأغذية والمآكل، أما قلوب النائحين فتتصور العقوبات والمحاكمات] (الدرجي ١٤: ١٨)[٣٠].

القلب في الكتاب المقدس هو أيضًا **مركز الخُلُق والضمير** في الإنسان، فالميول والرغبات والشهوات تنبع من القلب، سواء كانت صالحة أو شريرة، وهي التي في النهاية تُحدِّد كلماته وأفعاله. يقول عنه الكتاب: «فوق كل تحفُّظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة» (أم٤: ٢٣). فرغبات وشهوات الإنسان يميل إليها القلب، «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا» (مت٦: ٢١). هذه الرغبات تُحدِّد أقوال وأفعال الإنسان، فالسيد المسيح يقول: «فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور» (مت١٢: ٣٤-٣٥). وفي موضع آخر يقول: «وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر» (مت١٥: ١٨). فالسلوك الظاهري كثيرًا ما يميط اللثام عن خفايا القلب. فالأفعال والأقوال يمكنهما أن يعريّا القلب. ولكن رغم ذلك يمكن للقلب -

---

[٢٨] كلمة «بال» في أصلها اليوناني هو καρδία ، أي «قلب».

[٢٩] اليقظة والصلاة، مرجع مذكور، ص٥٧-٥٨.

[٣٠] السلم إلى الله للأب يوحنا السينائي، مرجع مذكور، ص١٩٠.

إذا شاء صاحبه ـ أن يحتفظ بسرّيته وخصوصيته، وهذا ما يُسمى «**رياء القلب**». فالكتاب المقدس يحدثنا عن إمكانية وجود قلبين للإنسان، واحد يُعبِّر عن حالة الإنسان تمامًا، والآخر مزيف تصدر عنه أفكار وأقوال وأعمال كاذبة لا تُعبِّر عن حالة الإنسان الحقيقية. فيمكنه أن يرائي أخيه الإنسان، كقول ابن سيراخ: «العدو يُظهِر حلاوة من شفتيه وفي قلبه يأتمر أن يسقطك في الحفرة» (سي١٢: ١٥). بل يظن ذلك الإنسان أنه في استطاعته أن يرائي الله نفسه، حتى إن الله قال عن هؤلاء المرائين: «يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيدًا» (مت١٥: ٨). لأن الله ينظر إلى القلب على الدوام (١صم١٦: ٧)، لأنه فاحص القلوب والكلى (إر١٧: ١٠؛ رؤ٢: ٢٣). يؤكِّد على ذلك القديس الأنبا أنطونيوس قائلاً:

[أكتب إليكم كأناس تحبون الله وتسعون إليه بكل قلوبكم. فإن الله يسمع لمثل هؤلاء الناس حينما يُصلُّون ويباركهم في كل شيء ... أما أولئك الذين يأتون إليه ليس بكل قلبهم، بل يكونون **ذوي قلبين**، والذين يعملون أعمالهم لكي يُمجّدوا من الناس، مثل هؤلاء لا يستمع الله لهم في أي شيء يسألونه منه، بل بالأحرى يغضب من أعمالهم. لأنه مكتوب: «إن الله قد بدد عظام المرائين» (مز٥٣: ٥)] (الرسالة العاشرة)[٣١].

كما يقول مار يوحنا الدرجي:

[أكثرنا يدعون ذواتهم خطاة، وعسانا أن نحسبها كذلك حقًا، إلا أن الهوان هو الذي يمتحن القلب (أي حقيقة ادِّعائه)] (الدرجي ٢٥: ٣٣)[٣٢].

كذلك يمكن أن تكون شهوات القلب انعكاسًا لعمل الحواس، كقول أيوب الصدِّيق: «إن حادت خطواتي عن الطريق **وذهب قلبي وراء عيني**» (أي٣١: ٧)، هكذا يوضِّح السيد المسيح أن: «كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد **زنى بها في قلبه**» (مت٥: ٢٨). لذلك أصبح القلب هو المُعبِّر عن حالة الإنسان النهائية، إن كان صالحًا أو شريرًا. وهذا يعني أن حركة القلب الداخلي

---

[٣١] رسائل القديس أنطونيوس، مرجع مذكور، ص٧٢.

[٣٢] السلم إلى الله للأب يوحنا السينائي، مرجع مذكور، ص٢٨٠.

تصبغ الإنسان كله، تفكيره وأقواله وأعماله. فيستحيل أن يتكلم الإنسان دون أن يكشف عن قلبه، شاء أو أبَى (لو٦: ٤٥). لذلك أصبحت كلمة الإنسان شهادة طبق الأصل تُعبِّر عن حقيقة قلبه وبالتالي يمكن أن تُبرِّر الإنسان أو تدينه (مت١٢: ٣٧). ويؤكِّد القديس مقاريوس الكبير على أن القلب هو منبع الأقوال والأفعال، فيقول:

[لأن القلب يحكم ويملك على كل حركات الجسد، وحينما تملك النعمة على مراعي القلب، فإنها بذلك تملك على كل الأعضاء والأفكار، لأنه هناك ـ أي في القلب ـ يوجد العقل، وكل ملكات النفس وكل آمالها، لذلك فإن النعمة تنفذ أيضًا إلى كل أعضاء الجسد (عن طريق القلب)] (عظة ١٥: ٢٠)[٣٣].

وكما أن القلب هو مركز الخُلُق في الإنسان، كذلك في بعض الأحيان، يضع الكتاب المقدس **مركز الضمير** في القلب أيضًا. فعلى الرغم من وجود تعبير قد استخدمه الوحي للإشارة إلى الضمير، وهو: συνείδησις (سينيذيسيس)، إلا أن القلب يشارك أيضًا كمركز للضمير، وهدفًا لتوبيخه. فعندما تكون وظيفة الضمير محدّدة، فإنها تُنسَب إلى القلب. نجد ذلك واضحًا عندما أحصى داود النبي الشعب، فيقول الكتاب بعد ذلك: «**ضرب** داود **قلبه** بعدما عدّ الشعب» (٢صم٢٤: ١٠). ويقول أيوب الصدِّيق عن نفسه: «تمسكت ببري ولا أرخيه. **قلبي لا يعيِّر** يومًا من أيامي» (أي٢٧: ٦). وتعبير: «نخسوا في قلوبهم» (أع٢: ٣٧)، هو أيضًا كناية عن تبكيت الضمير. كما يُعبِّر يوحنا الرسول عن ذلك جليًّا بقوله: «بهذا نعرف أننا من الحق **ونسكِّن قلوبنا** قدامه. لأنه إن **لامتنا قلوبنا** فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء. أيها الأحباء إن **لم تَلُمنا قلوبنا** فلنا ثقة من نحو الله» (١يو٣: ١٩ـ٢١). ويتفق القديس مقاريوس الكبير في عظاته مع المفهوم الكتابي، فيقول:

[إن القلب هو مثل سفينة مُزوّدة بكمية وافرة من حبال الأشركة والبكرات، وفيها قبطان يُدبِّر الكل، ويُحدِّد لكل واحد مهمته، ويُصلِح

[٣٣] عظات القديس مقاريوس الكبير، مرجع مذكور، ص١٤٣.

خطأ البعض منهم، ويُبيِّن لغيرهم ما هو الطريق، فالقلب أيضًا له قبطان في العقل، وهو الضمير الذي يقوم دائمًا بمحاكمتنا «والأفكار فيما بينها مشتكية أو محتجة» (رو٢: ١٥)] (عظة ١٥: ٣٣)[٣٤].

ثالثًا: مفهوم القلب الروحي (Spiritual Heart) :

القلب في الكتاب المقدس هو **مركز النشاط الروحي** للإنسان. ففي القلب تتفجَّر قوى الروح القدس، وفيه تستقر النعمة عند المعمودية (رو٥: ٥). الروحي يعتلن في اللحمي ويقدسه (انظر ٢كو٣: ٢-٤؛ أف٣: ١٧). فالقلب هو مركز تعامل الله مع الإنسان والموضع الذي يلتقي فيه معه. فإن عبارة: «يا ابني اعطني قلبك» (أم٢٣: ٢٦)، شائعة جدّا في الأدب النسكي، فإنها من مستلزمات السير على درب المسيح. لذلك شدّدت الكنيسة على أهمية ذلك، ووضعت في ليتورجيتها العبارة الحوارية الرائعة بين الأب الكاهن والشعب، فمن جهته يطلب الأب الكاهن من الشعب قائلاً: [ارفعوا قلوبكم]، والشعب بدوره يُصرِّح بأنها: [هي عند الرب].

ولكن لماذا اختار الله قلب الإنسان ليكون مكانًا مُخصّصًا له دون سواه؟ بل إن أول وصية هي أن: «تحب الرب إلهك من كل قلبك» (تث٦: ٥). ففي الحقيقة، لا يملك الإنسان ما هو أعمق من القلب، شعورًا وحنانًا ولطفًا ورحمة ومودة. فالقلب هو التعبير عن مركز عواطف الإنسان، أرقّها وأصدقها. ولكن الأهم من ذلك هو أن القلب يُعتبَر القاعدة التي تنبثق منها الشخصية بكل مكوناتها ومميزاتها. فالقلب هو بمثابة قدس أقداس الإنسان. لذلك يقول القديس مقاريوس الكبير:

[المسيحي ينبغي أن يذكر الله في قلبه في كل الأوقات كما هو مكتوب: «تحب الرب إلهك من كل قلبك» (تث٦: ٥). فينبغي له أن يحب الرب، ليس حين يذهب إلى مكان العبادة فقط، بل في السير والكلام والأكل يحتفظ بذكر الرب ويحبه بكل قلبه. إنه مكتوب: «حيث يكون كنزك

---

[٣٤] المرجع السابق، ص١٥١.

هناك يكون قلبك أيضًا» (مت٦: ٢١). لأن ما يرتبط به قلب الإنسان وما تتجه إليه رغبته فهذا هو إلهه. فإن كان القلب يشتهي الله كل حين فيكون الله هو رب هذا القلب] (عظة ٤٣: ٣)[٣٥].

ولكن برغم ذلك، فإن القلب هو مستودع الأهواء، كما أنه إناء النعمة الإلهية. فحيث إن قلب الإنسان هو الذي يستقبل الإعلان السماوي، فهو أيضًا مركز الاستجابة الإيجابية أو السلبية من نحو الله، فالإنسان بالقلب «يؤمن» (رو١٠: ١٠)، و«يطيع» (رو٦: ١٧)، أو «يُقسِّي قلبه» (عب٤: ٧). لكن هذا لا يعني أن الله والشيطان يتعايشان coexist، ولكنها معركة كبرى تجري في حلبة القلب. هناك يجب أن تعتلن نصرة المسيح وتَقَهقُر إبليس. يُعبِّر عن ذلك القديس مقاريوس الكبير قائلاً:

[القلب له عمق لا قرار له ... فيه يوجد معمل البر أو معمل الشر، فيه الموت وفيه الحياة، فيه توجد التجارة الصالحة وما هو ضدها أيضًا] (عظة ١٥: ٣٢)[٣٦].

ففي القلب يدوِّن الله تعاليمه ونواميسه، إنه اللوحة اللحمية للوصايا الإلهية. يقول عن ذلك بولس الرسول: «بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل نواميسي في أذهانهم و **أكتبها على قلوبهم**» (عب٨: ١٠). وفي القلب أيضًا مركز معرفة الله (٢كو٤: ٦)، فمعرفة الله وتعاليمه مستحيلة خارج القلب، لذلك القديسون الذين حووا الله في قلوبهم النقية، عرفوه وعاينوه (مت٥: ٨). وقول السيد المسيح بأن: «ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢١)، هو تجسيد لهذا المفهوم. يفسِّر ذلك القديس مرقس الناسك، ويؤكِّد على أن داخل القلب يكمن ملكوت المسيح، وهكذا فاكتشاف القلب، هو المعيار الذي به نتعرَّف على ملكوت المسيح[٣٧]. تلك المعرفة الروحية، كثيرًا ما تكلّم عنها القديس الأنبا أنطونيوس في رسائله، طالبًا من الرب أن يعطيها لأبنائه الروحيين. ففي إحدى رسائله يقول:

---

[٣٥] المرجع السابق، ص٣٢١.

[٣٦] المرجع السابق، ص١٥٠-١٥١.

[٣٧] اليقظة والصلاة، مرجع مذكور، ص٢٣.

[أريدكم أن تعلموا يا أبنائي أنني لا أكف عن التوسل لله لأجلكم ليلاً ونهارًا لكي **يفتح عيون قلوبكم** ... وأرجو الله أن يمنحكم **قلب معرفة** روح تمييز حتى تستطيعوا أن تقدموا قلوبكم كذبيحة نقية أمام الآب في قداسة عظيمة بلا عيب] (الرسالة السادسة)[٣٨].

ومع ذلك فإن القلب، أحيانًا، يصبح مستودعًا للأهواء عندما يكون مريضًا، ويُهمِل وصايا المسيح وينجرف وراء آراء إبليس، فيمرض القلب بالنجاسة والكبرياء. فتعبير [هوى القلب] في أصله اليوناني هو πάθος (باثوس)، من الفعل πάσχω (باسخو)، ويعني «أعاني أو أتألم». بالتالي فإن أهواء القلب تشير إلى معاناة أو مرض داخلي للقلب. والهوى يبدأ فكرًا ليصبح خطيئة وينتهي هوى. فعندما يطول مكوث الخطيئة أو الفكر الشهواني في القلب يصبح هوى[٣٩]. هكذا فعل الشيطان مع يهوذا الإسخريوطي، الذي يقول عنه الكتاب: «فحين كان العشاء وقد **ألقى الشيطان في قلب** يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه» (يو١٣: ٢). كذلك فعل مع حنانيا، فقال له بطرس الرسول: «لماذا **ملأ الشيطان قلبك** لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل» (أع٥: ٣). كذلك يُعبِّر الكتاب عن استقرار الخطية في القلب بقوله: «خطية يهوذا مكتوبة بقلم من حديد برأس من الماس **منقوشة على لوح قلبهم**» (إر١٧: ١).

هذا القلب المريض يصفه الكتاب المقدس بالعديد من التعبيرات، منها: «قلب منصرف عن الرب» (تث٢٩: ١٨)، «قلب فاجر» (أي٣٦: ١٣)، «قلب ملتوي» (أم١١: ٢٠)، «قلب شرير» (أم٢٦: ٢٣)، «قلب عاص ومتمرد» (إر٥: ٢٣)، «قلب ماكر» (إر١٤: ١٤)، «قلب متكبِّر» (إر٤٩: ١٦)، «قلب منقسم» (هو١٠: ٢)، «قلب مبتعد عن الرب» (مت١٥: ٨)، «قلب قاس» (مر١٠: ٥)، «قلب ثقيل» (لو٢١: ٣٤)، «قلب مظلم» (رو١: ٢١)، «قلب غير مختون» (أع٧: ٥١)، «قلب غير مستقيم» (أع٨: ٢١)، «قلب غليظ» (أع٢٨: ٢٧)، «قلب غير تائب» (رو٢: ٥)،

---

[٣٨] رسائل القديس أنطونيوس، مرجع مذكور، ص٤١.

[٣٩] اليقظة والصلاة، مرجع مذكور، ص٤٦.

«البرقع موضوع عليه» (٢كو٣: ١٥)، «قلب ضال» (عب٣: ١٠)، «قلب متدرِّب في الطمع» (٢بط٢: ١٤).

ولكن ليس معنى ذلك أن شفاء القلب مستحيلاً، فالرب لا يُرذِل «القلب المُنكسِر والمُنسحِق» (مز٥١: ١٧). فباللجاجة في الصلاة طلبًا للتوبة ونقاوة القلب، كما صرخ داود النبي قائلاً: «قلبًا نقيًا اخلق فيّ يا الله» (مز٥١: ١٠)، يبدأ الله في تغيير هذا القلب، ومن ثم الإنسان كله، جسدًا ونفسًا وروحًا. يقول عن ذلك القديس مقاريوس الكبير:

[فكم بالأكثر جدًا يحتاج بيت النفس (أي القلب)، الذي يستريح فيه الرب، إلى تطهير وتنقية، ليستطيع الرب أن يدخل فيه ويستريح هناك، فإنه هو بلا عيب ولا دنس. وفي مثل هذا القلب المُطهّر يستريح الله وكل الكنيسة السماوية] (عظة ١٥: ٤٥)[٤٠].

ومع أن خلق قلب جديد في العهد القديم كان عملاً استثنائيًا، إلاّ أنه أصبح عامًا لمن ينال سر المعمودية. ولكن إن سقط، فيمكن تجديده بالتوبة، لأن «إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذا **التمسته بكل قلبك**» (تث٤: ٢٩). حينئذٍ يتمم الرب وعده القائل: «وأعطيكم قلبًا جديدًا ... وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم» (حز٣٦: ٢٦)، «ويختن الرب إلهك قلبك» (تث٣٠: ٦)، ويوحِّد الله القلب لخوف اسمه (مز٨٦: ١١). ويعطي الله لقلب الإنسان قوةً (مز٧٣: ٢٦)، وحياةً (إش٥٧: ١٥)، وبساطةً (أع٢: ٤٦)، وسلامًا (في٤: ٧)، وثباتًا بالنعمة (عب١٣: ٩). وتتسكب محبة الله في القلب بالروح القدس (رو٥: ٥)، والروح القدس بدوره يُصلّي في القلب عنا صارخًا «يا أبّا الآب» (غل٤: ٦)، ويحل المسيح بالإيمان في القلب (أف٣: ١٧). وهكذا يصبح الإنسان «حسب قلب الله» (انظر ١صم١٣: ١٤؛ أع١٣: ٢٢).

[٤٠] عظات القديس مقاريوس الكبير، مرجع مذكور، ص١٥٩.